الشيوعي

العدد: 01 - أكتوبر 2009 – ثمن البيع: 5,00 دراهم، المساهمة: غير محددة

الافتتاحية

بالغ الاعتزاز والفخر يزف مناضلو رابطة العمل الشيوعي، الفرع المغربي للتيار الماركسي الأممي، إلى الطبقة العاملة وعموم المناضلين اليساريين والنقابيين والشباب الثوري الباحث عن بديل ماركسي، العدد الأول من جريدة **الشيوعي.**

ننشر في عددنا الأول الوثيقتين "السياسية" و"الاقتصادية" الصادرتين عن المؤتمر الأول لرابطة العمل الشيوعي، الذي انعقد خلال شهر أبريل من هذه السنة، حتى نقدم للعمال والمناضلين الثوريين صورة عن منظمتنا ومبادئها وأفكارها، مع دعوة مباشرة وصريحة إلى كل من يتفق مع تصوراتنا ومبادئنا وانتمائنا الأممي إلى الالتحاق بنا في النضال من أجل الثورة الاشتراكية بالمغرب والعالم، طبعا نحن لا ندعو مناضلي التيارات اليسارية الأخرى إلى القطع مع تياراتهم، بل ندعوهم إلى الدفاع عن المنظور الماركسي والمشروع الاشتراكي الثوري داخل منظماتهم بالذات.

إن جريدتنا الشيوعي هي في الأصل لسان حال رابطة العمل الشيوعي، لكن هذا لا يتعارض مع كونها في نفس الآن صوت من لا صوت لهم، من عمال هذا الوطن وشبابه المناضل ولا يتعارض مع كونها منبرا للنقاش بين المناضلين الاشتراكيين الثوريين ومناضلي المنظمات اليسارية: مناضلي النهج الديمقراطي واليسار الاشتراكي الموحد وغيرهما، حول مختلف القضايا النظرية والعملية التي تهم التغيير الاشتراكي في المغرب والعالم.

لهذا تتقدم هيئة تحرير الشيوعي إلى جميع قراءها والمتعاطفين معها بالدعوة إلى بعث تقارير عن أوضاعهم في أماكن العمل والجامعات وغيرها، وكذا تقارير عن نضالاتهم كما تدعوهم إلى بعث مقالاتهم وانتقاداتهم وتوجيهاتهم

ليست الكفاحية ولا الاستعداد لتقديم التضحيات هي ما ينقص الطبقة العاملة والشباب المغربي، لكن بدون برنامج ثوري حقيقي، وبدون نظرية ماركسية، لن يتمكن أي تحرك للجماهير مهما كان بطوليا أن يقضي على الرأسمالية وتشييد الاشتراكية، وهذا ما يعطي الراهنية للنقاش والعمل من أجل النظرية الماركسية والقيادة الثورية. ونحن نعتبر أن من بين مهام جريدتنا أن تقدم هذا البرنامج وهذا البديل. إذ لا حركة ثورية حقيقية بدون نظرية ثورية!

المؤتمر الأول

لرابطة العمل الشيوعي

الوثيقة السياسية: 3-4-5-6-7

الوثيقة الاقتصادية: 8-9

دفاعا عن

ثورة أكتوبر (11)

لماذا الشيوعي؟

لماذا اخترنا أن نطلق على جريدتنا **اسم الشيوعي؟**

لأن هدفنا من ورائها هو إعادة الاعتبار إلى راية الشيوعية والفكر الشيوعي، الماركسي الثوري، ونشره بين من لهم المصلحة الحقيقية في حمل تلك الراية، وتبني ذلك الفكر، في زمن صار أهم ما يميزه هو تخلي شرذمة "الماركسيين" السابقين و"الشيوعيين" السابقين والإصلاحيين عنها، والتهجم عليها، بتنسيق موضوعي مع الهجوم البرجوازي، ليقنعوا العمال الطليعيين، والشباب اليساري الباحث عن بديل ثوري، بأن الانتماء إلى الشيوعية "عار" و"تطرف" و"طوباوية".

لقد أطلقنا على جريدتنا اسم الشيوعي، لأننا، نحن مناضلو رابطة العمل الشيوعي، مناضلون شيوعيون، نكافح من أجل الثورة الاشتراكية/ المرحلة الأولى للشيوعية، في أفق بناء المجتمع الشيوعي الخال تماما من الاستغلال والاضطهاد بجميع أنواعهما. وهذا ما أكدنا عليه منذ الفقرة الأولى من إعلان المبادئ، حيث نقول: "هدف رابطة العمل الشيوعي هو تحقيق الثورة الاشتراكية في المغرب والمنطقة المغاربية وكل الشرق الأوسط بتعاون مع القوى الماركسية الأممية والطبقة العاملة العالمية. إن الهدف النهائي هو تشييد الاشتراكية في العالم أجمع، عبر الثورة الاشتراكية العالمية وبناء مجتمع بدون طبقات."

اخترنا لجريدتنا اسم الشيوعي لأننا أردناها أن تجسد فكر المناضل الشيوعي، ذلك الذي يساند، في كل مكان وكل زمان، كل حركة تقدمية ثورية ضد الأوضاع المجتمعية والسياسية القائمة على الظلم والاستبداد والاضطهاد، إذ أن هدفنا المباشر هو نفس هدف كل الأحزاب البروليتارية الأخرى: أي تشكّل البروليتاريا في طبقة، وإسقاط هيمنة البرجوازية، واستيلاء البروليتاريا على السّلطة السياسية.

إن جريدة **الشيوعي** جريدة عمالية يكتبها العمال والمثقفون الشيوعيون الثوريون، **من أجل** العمال والمناضلين اليساريين الباحثين عن بديل ثوري. إنها تريد أن تعكس الحياة العمالية وأن تجيب في اللحظة المناسبة عن الأسئلة التي تثيرها الأحداث كبيرها وصغيرها لدى جميع العمال. وتقدم للحركة برنامجا واستراتيجية وتكتيكات تجعل النصر ممكنا، إذ لا حركة ثورية بدون نظرية ثورية.

أيها العمال، أيها المناضلون اليساريون: إن الشيوعيون هم الفريق الأكثر حزما من بين الأحزاب العمالية في جميع البلدان، إنهم يتميزون عن باقي الأحزاب البروليتارية الأخرى بكونهم: أثناء الصراعات ذات الصبغة الوطنية لبروليتاريا مختلف البلدان، يُبرزون ويقدمون المصالح المشتركة للبروليتاريين جميعهم، بصرف النظر عن القوميات، أي أنهم مناضلون أمميون حازمون، وبأنهم يمثلون دائما وفي كل مكان مصالح مجمل الحركة في مختلف مراحل التطور، التي يمر منها الصراع بين البروليتاريا والبرجوازية.

وراية الشيوعية الحمراء هي بيرق النصر العظيم، فلنجعلها ترفرف عاليا، ولننتظم جميعا تحتها من أجل إسقاط نظام الاستغلال والقهر وبناء المجتمع الشيوعي!

نبذة عن رابطة العمل الشيوعي

كان الإعلان الرسمي عن تأسيس رابطة العمل الشيوعي يوم 18 يوليوز 2006، وقد جاء هذا الإعلان بعد سلسلة من النقاشات الداخلية النظرية والتنظيمية العميقة حول مختلف القضايا أمميا ومحليا، بمشاركة ممثلين عن قيادة الأممية، **التيار الماركسي الأممي**، مما أثمر إعلان المبادئ الذي يشكل الأرضية السياسية والنظرية التي تحدد بوضوح هويتنا وطبيعتنا، والذي نشرناه للعمال والمناضلين السياسيين اليساريين والنقابيين والشباب الباحث عن بديل ثوري ليشكل أرضية يتم التلاقي على أساسها، كما أثمرت تلك النقاشات أيضا عن صياغة مشروع برنامج انتقالي للمغرب يتضمن أهم المطالب التي تهم الطبقة العاملة والجماهير الكادحة وينسجم مع التقاليد التي رسخها المعلمون الماركسيون الكبار، إذ كانوا يعتبرون البرنامج جسرا يربط بين المطالب اليومية والنضالات التي تخوضها الجماهير من أجل مطالبها المباشرة، وبين النضال من أجل التغيير الاشتراكي للمجتمع.

مباشرة بعد الإعلان عن تأسيس منظمتنا الثورية، أصدر التيار الماركسي الأممي بيانا يزف فيه للطبقة العاملة الأممية والمناضلين الثوريين في كل أنحاء العالم، خبر التأسيس. ومن بين ما جاء في ذلك البيان: "هذه النجمة، التي لا تزال نجمة صغيرة، قد بدأت في اللمعان مع إعلان رابطة العمل الشيوعي. جميع مناضلي التيار الماركسي الأممي يتوجهون بأحر التحايا إلى الرفاق في رابطة العمل الشيوعي. معا سوف ننتصر! عاشت الثورة الاشتراكية العالمية! "

إننا مناضلات ومناضلي رابطة العمل الشيوعي أمميون، ونعتبر أن هذا البعد من هويتنا ثابت من ثوابتنا باعتبارنا شيوعيين ماركسيين، وهذو ما نرسخه بالانتماء إلى الحزب العالمي للثورة الاشتراكية: التيار الماركسي الأممي، وبمساهمتنا الدائمة في مختلف النضالات الأممية لا سواء من خلال المشاركة في الاجتماعات الأممية ولا بتنظيم الحملات التضامنية مع مختلف النضالات التي تخوضها الطبقة العاملة أمميا والشعوب في كل أنحاء العالم، ولا سواء بتخليدنا المحطات الأممية: اليوم العالمي للمرأة العاملة، فاتح ماي، ولا بنشرنا لأخبار مختلف النضالات التي يخوضها عمال العالم وشعوبه المقهورة بين صفوف العمال والشباب المغاربة، الخ.

إننا، اشتراكيون ثوريون مهمتنا هي بناء القيادة الثورية، ونعمل في كل حين على المساهمة في الإنتاج النظري الماركسي ونشر الفكر الثوري على أوسع نطاق ممكن، ومنخرطون في مختلف النضالات التي تخوضها الطبقة العاملة والشباب، بالحضور الميداني في الإضرابات والتظاهرات والوقفات، الخ، بقدر ما تسمح به قدراتنا ومدى انتشارنا، أو بتنظيم حملات التضامن وطنيا ودوليا مع كل المضطهدين والمقهورين. ونعمل في كل حين على تنظيم الطلائع وتخصيبها بالوعي الماركسي وكسبها إلى صفوف قضية الاشتراكية والتغيير.

إن كنت تتفق مع افكارنا ولديك رغبة في الانضمام إلينا في النضال من أجل الاشتراكية اتصل بنا على بريدنا الالكتروني:

lac@marxy.com

الوثيقة السياسية

الثورة المغربية بدأت!

يتميز الوضع السياسي بالمغرب منذ ثلاثة سنوات بانتهاء الأوهام حول الإصلاحات التي باشرها محمد السادس، والاكتساح الكثيف جدا لمسرح الأحداث من طرف الجماهير الشعبية، العمال والشباب على وجه الخصوص، كما يتميز الوضع بتردد صدى الأزمة العالمية.

لقد سبق لنا (انظر إلى أين يسير المغرب؟) أن شرحنا أن إصلاحات محمد السادس ليست سوى محاولة لإصلاح النظام من فوق من أجل الحيلولة دون حدوث ثورة من تحت. إن هدف الطبقة السائدة (محمد السادس والبضع عائلات القوية التي تقتسم أهم الثروات والسلطة) لم يكن أبدا تحويل المغرب إلى بلد ديمقراطي حقيقي. إنها كانت تريد في الواقع أن تبدل أساليبها وأشكال السيطرة الرأسمالية من أجل الحفاظ على مصالحها المهددة بإمكانية حدوث انفجار ثوري في أعقاب وفاة الحسن الثاني. كان لسان حالها يردد المقولة الشهيرة التي قالها تانكريدي فالكونيري[1]: "يجب تغيير كل شيء من أجل أن يبقى كل شيء كما كان في السابق". وقد تعرضت الإصلاحات الجد محتشمة للفشل. بينما بقيت الأخرى حبرا على ورق. وتوقفت جميع محاولات الإصلاح من فوق، والجماهير بدأت توجه أنظارها نحو آفاق أخرى. الشوارع بدأت تزمجر! سبق لأليكسيس توكفيل، المتتبع النبيه للثورة الفرنسية، أن لاحظ أن أكثر اللحظات خطرا بالنسبة لنظام الحكم الفردي هي تلك التي ينخرط خلالها في طريق الإصلاحات. حيث ينفتح مجال جديد من الإمكانيات السياسية المجهولة والتي يمكنها أن تعرض النظام نفسه للخطر. وها نحن نشهد انفتاح مرحلة كل أنواع المخاطر بالنسبة للنظام الدكتاتوري المغربي. لقد دخلت المملكة في منطقة اضطرابات قوية.

دخول الجماهير إلى مسرح الأحداث

لقد أدى تبدد الأوهام حول الإصلاحات من فوق إلى حدوث انفجار اجتماعي غير مسبوق. والانتظارية النسبية التي ميزت السنوات الأولى لحكم محمد السادس تركت مكانها لقيام الجماهير الفقيرة والمستغلة بأخذ مصيرها بين أيديها. هذه هي الميزة الأكثر بروزا للظرفية الحالية في المغرب.

وهذه هي التباشير الأولى للثورة الاشتراكية في المغرب. لقد سبق لتروتسكي، القائد الثوري العظيم، أن حدد المسلسل الثوري باعتباره اكتساح الجماهير المضطهدة للمسرح السياسي. وهو الشيء الذي نشهده اليوم بالمغرب. في الماضي شهدنا الانتفاضة البطولية يوم 23 مارس 1965 بالدار البيضاء، وانتفاضة مراكش وتطوان والناضور والحسيمة والقصر الكبير سنة 1984، والانفجار الاجتماعي في طنجة وفاس سنة 1990. لكننا لم نشهد أبدا حركة على الصعيد الوطني من المظاهرات والنضالات التي يخوضها العمال وربات البيوت والطلاب والفلاحون مثل هذه التي بدأت خلال شهر شتنبر 2006. كان السبب المباشر وراء اندلاع هذه التحركات هو النضال ضد غلاء المعيشة وخاصة غلاء فاتورة الماء والكهرباء بعد خصخصة القطاع. لقد جاءت هذه الحركة الغير مسبوقة في أعقاب موجة من الإضرابات في المصانع منذ سنة ونصف واستمرت لحدود الفترة الأخيرة. إن هذه التحركات التي تتناسل في المغرب دليل على أن الجماهير لا تنقصها الكفاحية أو البطولة. إن ما ينقص هو وجود قيادة ثورية حقيقية تمتلك برنامجا ماركسيا لتحويل كل هذه الكفاحية والرغبة في التغيير العميق إلى ثورة اشتراكية حقيقية. وهذه هي المهمة التي وضعتها رابطة العمل الشيوعي، الفرع المغربي للتيار الماركسي الأممي، هدفا لها.

وهذا بالضبط ما كنا قد أكدنا عليه سابقا في مقال الربيع المغربي: "الأكيد أن هذه الموجة من النضالات الجماهيرية الرائعة قد دقت نهاية مرحلة وبداية أخرى من الصراع الطبقي في المغرب، أعطت خلالها الجماهير، ولا زالت تعطي، الدليل على رغبتها في تغيير الأوضاع تغييرا جذريا وقدرتها على ذلك. لو توفر حزب ماركسي، يمتلك برنامجا ثوريا علميا ونفوذا ومصداقية بين العمال والكادحين، لصار من الممكن توجيه ضربة قاصمة لنظام الاستغلال والقهر القائم. لكن هذا بالضبط هو ما ينقص، إن كل الأزمة الحالية هي أزمة القيادة الثورية. وهنا بالضبط تكمن مهمة المناضلين الثوريين. المناضلون الثوريون ليس دورهم مجرد إتباع التيار والانفعال بالأحداث، بل عليهم التحضير الجدي لتنظيم الجماهير وتمكينها من برنامج ثوري حقيقي ومنظورات علمية. عليهم بناء الحزب العمالي الثوري، حتى لا تضيع هباء التضحيات العظمى التي تقدمها الجماهير الكادحة".

إن النظام الدكتاتوري واع بالتآكل السريع لقاعدة الدعم التي يرتكز عليها وبالخطر الذي تشكله عليه هذه الموجة من المظاهرات والنضالات. وقد عمل خلال مظاهرات فاتح ماي 2007 على الكشف عن وجهه الحقيقي من خلال قمعه الشديد لبعضها. كما قام البوليس أيضا باعتقال العديد من المشاركين فيها، وحكموا بسنوات عديدة من السجن بتهمة إهانة شخص الملك، لأنهم طالبوا بسقوط الملكية! إن الهدف من وراء ذلك القمع كان هو إرهاب الحركة من أجل تجميدها. لكن الجماهير قد تجاوزت أصلا هذه المرحلة. فلم يؤدي ذلك إلا إلى المزيد من تصليب إرادة الاحتجاج. سياسة الردع لم تؤتي أكلها. إن موجة القمع والاعتقالات والمحاكمات هاته لا تدل على قوة النظام ودولته، بل دليل على عصبيتهما.

خلال بداية سنة 2008، قالت جريدة الأيام إن الحكومة المغربية اشترت تجهيزات خاصة لمكافحة 'الشغب' لجهاز بوليسها، وقد قامت الحكومة الإسبانية، بزعامة الاشتراكي الديمقراطي ثباطيرو، ببيعها إياها. ويحتل المغرب المرتبة الأولى في قائمة البلدان التي تشتري هذا النوع من التجهيزات من إسبانيا.

لم يكن من المصادفة أن مظاهرات فاتح ماي لسنة 2008 كانت من بين الأكثر كفاحية من نوعها. وقد ساهم انسحاب ممثلي الكنفدرالية الديمقراطية للشغل من الغرفة الثانية في تعزيز هذا المزاج. من حيث الجوهر ليست قيادة الكنفدرالية الديمقراطية للشغل مختلفة عن قيادات باقي النقابات. إنها قيادة إصلاحية وبيروقراطية. وهي تشكل في آخر التحليل سندا للرأسمالية وللنظام الأوتوقراطي في المغرب. لكنها ومن أجل الحيلولة دون تجاوزها من طرف قواعدها، ومن أجل التحكم في الحركة والحفاظ على مكانتها أمام نظام يهمشها، كانت مضطرة لأن تعكس ولو جزئيا المزاج السائد في أماكن العمل.

بعد أسابيع من ذلك دعت الكنفدرالية إلى خوض إضراب عام يوم 21 ماي. والذي كان أول إضراب عام منذ أكثر من عشرين

[1]: أحد شخصيات رواية غيبارد، لغويسبي توماتش دي لمبيدوسا.

سنة. وبالرغم من محدودية تأثير الإضراب بسبب التكسير الذي تعرض له من طرف قادة النقابات الأخرى، فإن معاقل الكنفدرالية التقليدية انخرطت فيه وأدت الدعوة إلى إيقاظ جزء من العمال الشباب. وقد سجلت بعض قطاعات الكنفدرالية نسبة مشاركة وصلت إلى 100%! في شركة سلام غاز لتعبئة الغاز على سبيل المثال. إن الكنفدرالية تسيطر على قطاعات اقتصادية أساسية: الموانئ، الغاز، النقل، حيث سجل الإضراب العام نسبة أكثر من 60%. وقد تجاوزت نسبة المشاركين في الإضراب في القطاع العام والمدارس والإعداديات والثانويات، نسبة 60%. حتى التجار شاركوا في الإضراب خاصة في الدار البيضاء وفاس وأكادير... لكن قادة الكنفدرالية لم يقدموا لهذا الإضراب أي منظور مما أدى إلى إضاعة فرصة هامة. لكن سوف تكون هناك العديد من الفرص الأخرى في المستقبل.

هذه هي أولى مؤشرات استيقاظ الطبقة العاملة المنظمة. طبقة عاملة فرضت عليها قيادتها الخمول والجمود مدة طويلة. وكما هي الحالة مع شخص يستيقظ لتوه بعد نوم طويل، يكون أول شيء يقوم به قبل النهوض هو تمديد يديه ورجليه وجسمه المخدر بفعل خمول طويل. إن هذا الإضراب العام ليس في الواقع سوى خطوة في سيرورة تحدث في سياق نهوض الطبقة العاملة. ها هو مثال عن كيف تنظر إحدى الصحف للنضال الإضرابي:

"في الوقت الذي يبدو فيه أن القطاع الخاص بالمغرب يعيش فترة هدنة، حيث أن عدد الإضرابات عرفت تقلصا ملموسا خلال السنوات الأخيرة، فإن الأرقام الأخيرة التي أصدرتها وزارة العمل مثيرة للقلق. ففي غضون تسعة أشهر من السنة الماضية، اندلع ما لا يقل عن 148 إضرابا في 118 مؤسسة مقابل 113 إضرابا في 88 مؤسسة خلال تسعة أشهر من 2007، مما يشكل ارتفاعا بـ 30,97% و34,09% على التوالي. للأزمة الاقتصادية العالمية دور في ذلك، لأن السبب الأساسي وراء هذه المواجهات اختلاف العمال مع المشغلين حول الإجراءات الواجب اتخاذها في مواجهة نقص الطلب على وجه الخصوص...

والدليل على السخط الاجتماعي الذي تصاعد سنة 2008، هو أنه من بين 32,786 عامل شارك 19,888 عامل في الإضرابات وهو ما يشكل نسبة مشاركة تساوي 60,66%. وقد ترجم هذا الرقم بفقدان 79,074 يوم عمل.

هنا أيضا يعتبر قطاع صناعة الملابس هو الأكثر تضررا. لقد شهد 10,81% من الإضرابات، ثم قطاع الصناعة الغذائية (10,14%) وصناعة المنتجات المعدنية والغير معدنية بـ 8,78%. وأدت وساطة مفتشي الشغل، إلى تفادي نشوب 474 إضرابا في 397 مؤسسة، مما يعني إنقاذ أكثر من 50,000 يوم عمل" (Reporter, 8 février 2009)

إن ظروف العمل القاسية والتي تواصل التدهور، تشكل السبب الحقيقي لهذه الموجة من الإضرابات. وقد فضح حريق مصنع روسامور بالدارالبيضاء، حيث احترق عشرات العمال أحياء نتيجة للإهمال الإجرامي لرب العمل، الواقع الرهيب الذي يعيشه العمال.

غليان في بعض المدن

لدينا سيدي إفني، حيث قامت الجماهير العاملة والطلاب بهذه المدينة الشاطئية، بانتفاضة يوم 7 يونيو 2008 ضد البطالة الكثيفة التي تضرب هذه المنطقة، وضد الفساد. منذ 2005 والمدينة تعيش وضعا انتفاضيا، حيث تنظم باستمرار المظاهرات والتجمعات، واللجان الخ. من أجل الاحتجاج ضد تهميش منطقتهم.

وقد عملت الدولة المغربية أيضا على إرسال قواتها القمعية (4000 من الجيش ورجال الدرك والقوات المساعدة) من أجل 'معاقبة' الجماهير، حيث عملوا على نهب المنازل وتسببوا في سقوط العديد من الجرحى والكثير من المعتقلين. **وما يزال لحد اللحظة 26 شخصا من قادة الحركة يرزحون في السجون من بينهم 12 لا يزالون ينتظرون المحاكمة**. والتهمة؟ هي الاحتجاج ضد الفساد والمطالبة، بطريقة ديمقراطية، بحقهم في الشغل والكرامة.

بعضهم أصيب بأمراض مزمنة زادت من خطورتها ظروف الاعتقال السيئة والإضراب عن الطعام الذي خاضوه يوم 7 يناير. كان ذلك الإضراب موجها للاحتجاج على وضعهم، ولم يتم إيقافه إلا يوم 16 يناير. خارج المعتقل انتظمت عائلات المعتقلين في لجان، وتم تنظيم العديد من القافلات التضامنية التي انطلقت من عدة مدن مغربية نحو سيدي إفني.

ويأتي نهوض الطبقة العاملة المغربية هذا متناغما مع نشاط النضالات الاجتماعية في العالم العربي من قفصة إلى القاهرة مرورا بوهران.

تصاعد النضالات العمالية في العالم العربي

شهدت الجزائر السنة الماضية مظاهرات محلية ومواجهات مع قوات القمع. وهران، التي تعتبر ثاني أكبر مدينة جزائرية، شهدت مواجهات بين الشباب العاطل وقوات البوليس دامت ثلاثة أيام. صرحت صحيفة الوطن قائلة: "لقد دخلنا مرحلة من الانتفاضات لا تنبئ بأي خير". تخشى البرجوازية تكرار الحركة الانتفاضية الثورية التي انطلقت من منطقة القبايل سنة 2001[1]. شهدت هذه الحركة الثورية ظهور جنين للمجالس/ السوفييتات. هذا البلد المصدر للبترول والغاز كان عاجزا، حتى في مرحلة الازدهار الذي تحقق بفضل ارتفاع أسعار البترول، عن توفير مناصب شغل كريمة لشبابه. البلد الفاحش الثراء بأموال البترول يعيش شعبه الفقر المدقع. معدل البطالة قي الجزائر هو الأعلى في العالم العربي. حوالي 75% من الشباب أقل من 30 سنة بدون عمل! والركود سيزيد الأوضاع سوءا.

في تونس، كان العمال والشباب وعائلاتهم في حوض قفصة هم الذين أرعبوا النظام السنة الماضية. لقد اندلعت في منطقة الحوض المنجمي بقفصة (جنوب غرب تونس)، حركة اجتماعية ذات حجم لم تشهده تونس منذ أكثر من 20 سنة. يوم 5 يناير 2008، وفي أعقاب نشر نتائج مباراة للتوظيف في شركة للفوسفاط بقفصة (شركة CPG التي تعتبر المشغل الرئيسي لليد العاملة في المنطقة)، تظاهر شباب عاطل وطلاب ونقابيون بشكل سلمي من أجل الحق في العمل وضد الزبونية، في منطقة تصل فيها البطالة في غالب الأحيان إلى 30%، أي ضعف المعدل الوطني.

وقد رد نظام بن علي الدكتاتوري على حركة الاحتجاج هذه بالعنف. يوم 6 يونيو 2008، أطلق البوليس الرصاص الحي على المتظاهرين مخلفا سقوط قتيل والعديد من الجرحى، وقد طالت موجة الاعتقالات عشرات الأشخاص، إلى جانب قادة هذه الحركة، ومن بينهم نقابيون من نقابة المعلمين والممرضين والعمال... ومنذ تلك اللحظة صارت مدينة رديف وباقي مدن

[1]: انظر: http://www.lariposte.com/La-nouvelle-revolution-algerienne-a-commence-10.html

الحوض المنجمي تعيش حالة حصار حقيقي.

في لبنان أيضا خاض المناضلون النقابيون إضرابا عاما خلال شهر ماي ضد غلاء المعيشة وخضوع الحكومة لإملاءات صندوق النقد الدولي والبنك العالمي اللذان يدفعانها إلى نهج سياسة الخصخصة واللبرالية.

إلا أن مصر هي البلد الذي بدأت الطبقة العاملة فيه تستيقظ بشكل مثير للدهشة. يمتلك هذا البلد الطبقة العاملة الأكبر والأكثر تركيزا في شمال إفريقيا. ومنذ 6 سنوات صار النضال العمالي عاملا سياسيا من الدرجة الأولى في هذا البلد. ويعتبر عمال النسيج في مدينة المحلة بالخصوص هم الذين يشكلون الطليعة لإعادة إشعال نار الصراع الطبقي. هؤلاء العمال هم الذين قدموا درسا رائعا في الكفاحية من خلال احتلالهم لمصانعهم في مناسبتين اثنتين من أجل الرفع من الأجور. دور النساء العاملات كان هو الأكثر بطولية حيث تحدين بمشاركتهن النشيطة في الاعتصام في المصنع القيود الأسرية التقليدية البالية. وقد شهدت سنة 2006، اندلاع 222 إضرابا. وتضاعف سنة 2007عددها إلى 580! إلا أن شهر أبريل هو الذي شهد الدعوة إلى إضراب عام أفزع نظام الفرعون الرأسمالي الجديد، مبارك. يوم 6 أبريل توقفت العديد من الشركات عن العمل وصارت المدن الكبرى أكثر هدوءا من المعتاد. تمكن القمع جزئيا من محاصرة الإضراب. لكن وبسبب منعهم لعمال المحلة من تنفيذ الإضراب عملوا على إثارة حركة فاجأت السلطات كليا: حيث اندلعت انتفاضة عمالية حقيقية في شوارع المدينة دامت عدة أيام. هذا الإضراب هو صورة عامة للمواجهات الكبرى التي سيشهدها المستقبل في مصر وفي العالم العربي.

يا له من رد رائع على جميع هؤلاء اليساريين الذين يعتقدون أن التمرد الشعبي والمعادي للإمبريالية في العالم العربي رهين بالرجعية الإسلامية السوداء.

يا لها من صفعة في وجه جميع هؤلاء الذين زعموا طوال عقود إنتهاء الطبقة العاملة باعتبارها قوة ثورية.

على عكس سنوات الستينات والسبعينات، يعيش 56% من سكان العالم العربي اليوم في المدن. في السعودية 86%، في لبنان 88% و73% في الأردن. هذه الدول مندمجة بشكل كامل في النظـــام الرأسمالي العالمي. تلعب الطبقة العاملة المجتمعة في المدن، ومراكز القرارات السياسية، دورا استراتيجيا من الدرجة الأولى. إن الطبقة العاملة في المدن قادرة أيضا على أن تجتذب إلى جانبها باقي الشرائح المضطهدة من الشعب، مثل العاطلين والعمال في القطاع غير المهيكل والتجار الصغار والطلبة.

انتفاضة الشباب

كان الاعتداء الإمبريالي على غزة مفجر موجة رائعة من المظاهرات العفوية التي نظمها الشباب في المغرب. مظاهرات كبيرة عرفتها كل المدن و كل القرى. حتى القرى الصغيرة جدا شهدت هذه المظاهرات. لقد كانت هذه المظاهرات هي الطريقة التي عبر بها الشعب عن غضبه وإدانته المطلقة للاعتداء الامبريالي، وأيضا لتواطؤ الحكومات العربية.

في أغادير، ومراكش، والدار البيضاء، وفاس، وطنجة، وتطوان، ووجدة وفي العشرات من المدن والقرى الأخرى، نزل الآلاف من الشباب إلى الشوارع طيلة أيام الاعتداء. المظاهرة الكبرى كانت في الرباط، في 4 يناير، حيث شارك مليون متظاهر. لكن باستثناء مظاهرة الرباط، كانت كل المظاهرات الأخرى بمبادرة من الشباب خاصة تلاميذ الثانويات وطلبة الجامعات.

في ظل نظام ديكتاتوري معتاد على قمع جميع أشكال حرية التعبير، تشكل هذه التجمعات الجماهيرية والاعتصامات تجربة هامة لها تأثير كبير على وعي الشباب والعمال المغاربة. في ظل نظام كهذا، يعتبر أي نشاط جماهيري مدرسة ثورية. لابد من التحلي بالكثير من الشجاعة، والاستعداد لتقديم التضحيات، لأنه من الممكن أن تواجه بقمع حاد. خلال مظاهرة، يوم الأحد 28 دجنبر، في مراكش، قتلت الشرطة الطالب عبد الرزاق الكاديري، الذي أضيف اسمه إلى اللائحة الطويلة من الشهداء المغاربة الذين سقطوا في سبيل القضية الفلسطينية - ليس بأيادي القمع الإسرائيلي، ولكن على يد قمع الدولة المغربية.

لقد شهدت هذه التحركات الرائعة ظهورا عفويا لعدد كبير من القادة الشباب. والذين تعلموا للمرة الأولى في حياتهم كيف يحتلون الشوارع ويواجهون قوات القمع. لقد اكتسبوا خبرة جد ثمينة في النضال الجماهيري. وهذه الخبرة لن تضيع: سوف تعود مجددا إلى السطح في المستقبل القريب.

إن كثافة هذه المظاهرات وطبيعتها الكفاحية تعبير على حجم البارود الذي تراكم في أعماق المجتمع المغربي، والذي لم يكن ينتظر سوى الشرارة لكي ينفجر. لقد سبق للفيلسوف الألماني الكبير هيغل أن لاحظ أن: "الضرورة تعبر عن نفسها من خلال الصدفة". هذا يفسر لماذا تحولت العديد من هذه المظاهرات إلى إدانة الاستغلال والخصخصة، بالخصوص في طنجة ومراكش والرباط.

الشباب هم شعلة الثورة البروليتارية كما كان الثوري الألماني كارل ليبكنخت يحب أن يقول. وبالضبط كما حصل في اليونان، خلال انتفاضة الشباب شهر دجنبر، سوف يكون الشباب المغربي في مقدمة صفوف الثورة. في صفوفهم يجب على الماركسيين أن ينغرسوا. كان الإصلاحيون الروس، المناشفة، يسخرون من البلاشفة إذ يطلقون عليهم اسم حزب الأطفال والمراهقين. وقد كان لينين جد فخور بهذه التسمية. ليس هناك أي شك في أن حركة الشباب ستؤثر على الطبقة العاملة. وكثيرا ما كانت تحركات الشباب، الذين هم أكثر حرية في التعبير عن سخطهم، لكونهم بدون مسئوليات عائلية وبدون عمل، تستبق التحركات الأكثر ضخامة للطبقة العاملة. إن الشباب هم، لهذا السبب، غالبا ما يشكلون مقياسا حساسا للتغيرات التي تحدث في المزاج بين صفوف الفئات المضطهدة.

تأثيرات الأزمة العالمية على الاقتصاد المغربي أدت مؤقتا إلى إنقاص عدد النضالات العمالية. فعلى سبيل المثال لم يحدث سوى 11 إضرابا خلال شهر دجنبر حسب الإحصائيات الرسمية لوزارة العمل. وخلال شهر يونيو حدث 25 إضرابا، أي أكثر من الضعف! لا يجب على هذا أن يفاجئنا. ففي الوقت الذي يرفض فيه قادتهم الدعوة إلى النضال أو يعملون على التدخل بشكل نشيط لتجميد النضالات، فإن العمال يشعرون مؤقتا بالشلل وبثقل الأزمة. إن العمال مضطرون إلى الانحناء أمام موجة التسريحات والإغلاقات وفقد الأجور. لكن يجب علينا أن نتعلم كيف ننظر بعيدا، خاصة عندما يتعلق الأمر بمسألة نضال الجماهير وسيرورة اكتسابهم للوعي. لا يمكننا أن نقع حبيسي مزاج عابر. يجب أن نتعلم اكتشاف ما سماه تروتسكي "السيرورة الجزيئية (moléculaire) لاكتساب الوعي". تحت السطح، وبالتالي بشكل غير مرئي، تتأجج نيران الغضب. إنها تتأجج بسبب تدهور الظروف المادية للعمـــــــال

وعائلاتهم. أحد كبار مسئـولي وزارة العمل صرح بحق أن "هذا الهدوء خادع". كما أن مقالا نشر في جريدة الايكونوميست، لسان حال البرجوازية بدون منازع، طرح السؤال التالي: "المناخ الاجتماعي: هل هو الهدوء الذي يسبق العاصفة؟". إن مفكري البرجوازية الجديين يعلمون أن الأوضاع سوف تنفجر إن عاجلا أو آجلا.

إحصاءات الإضرابات مهمة لكنها ليست المؤشر الوحيد عن تجذر الجماهير. إن تحرك الشباب للتضامن مع غزة هو أيضا مؤشر جد هام عن هذا التغير في مزاج الجماهير. خاصة في بلد حيث يشكل الشباب أكبر نسبة من السكان. بالنظر إلى أن المغرب سجن كبير للطبقة العاملة والشباب فإنه من الحتمي ألا تتطور التحركات المستقبلية بشكل تدريجي وخطوة خطوة. إن القمع ومحاولات القادة النقابيين خنق النضالات سيعطي لها طبيعة انفجارية، حيث ستندلع فجأة وبقوة ساعة نهوض الطبقة العاملة. من الهام جدا فهم وثيرة الصراع الطبقي. لقد بدأت هناك سيرورة تجذر بين الشباب والطبقة العاملة. وهذه السيرورة لا تتطور أبدا في خط مستقيم أو في اتجاه واحد. وقد قال تروتسكي في هذا الصدد:

"من البديهي أن تطور البروليتاريا يسير في طريق الثورة، إذا ما نظرنا إليه من **وجهة نظر المرحلة بمجملها**. لكنه ليس أبدا مسلسلا أفقيا، مثله في ذلك مثل مسلسل التفاقم الموضوعي لتناقضات الرأسمالية. إن الإصلاحيين لا يرون سوى صعود الرأسمالية. و'الثوريون' المزيفون لا يرون سوى الانحدارات. أما الماركسي فإنه يرى الخط في مجمله، بكل منحنياته الصاعدة والنازلة، دون أن يغفل ولو للحظة عن رؤية اتجاهه الرئيسي الذي يؤدي نحو كوارث الحروب، أو إلى الانفجارات الثورية."

"المشاعر السياسية للبروليتاريا لا تتغير أبدا بطريقة أوتوماتيكية في اتجاه واحد ووحيد. فالحركات الصاعدة للنضال الطبقي تستبدل بحركات نازلة، والمد بالجزر، حسب الترتيب الجد معقد للظروف المادية والإيديولوجية الداخلية والخارجية. فإذا لم يوظف ذلك النشاط الجماهيري في اللحظة المناسبة، أو عندما يوظف بشكل خاطئ، يتحول إلى عكسه، وينتهي بمرحلة من الخمول تتخلص منه الجماهير بهذا القدر أو ذاك من السرعة أو البطء، مرة أخرى تحت تأثير دوافع موضوعية جديدة. يتميز العصر الذي نعيشه بالتغيرات العنيفة للمراحل المختلفة، وبانعطافات متطرفة في حدتها، وبالتالي تفرض على القيادة واجبات استثنائية بتوجيه جيد."

"إن نشاط الجماهير، وحتى إن قبلنا أنه منظم بشكل جد سليم، يمكنه، حسب الظروف، أن يتخذ تعبيرات جد مختلفة. ففي بعض المراحل يمكن أن تكون الجماهير مشغولة تماما بالنضال الاقتصادي وتظهر اهتماما جد ضعيف بالمسائل السياسية. وعلى العكس من ذلك، عندما تتعرض الجماهير للعديد من الانتكاسات الهامة في حقل النضال الاقتصادي، يمكن أن توجه انتباهها إلى الحقل السياسي. لكن هنا أيضا، حسب مجموعة من الظروف وحسب التجارب التي جعلت الجماهير تنخرط في هذه الظروف، يمكن لنشاطها السياسي أن يتجه إما في مسار برلماني محض، أو في مسار نضال خارج البرلمان" (ليون تروتسكي: "المرحلة الثالثة من أخطاء الأممية الشيوعية"، 8 يناير 1930)

انتخابات شتنبر 2007 التشريعية

بالرغم من المحدودية الواضحة للانتخابات البرلمانية في ظل سيطرة الدكتاتورية، فإن النتائج تستحق أن تحلل. إن هذه الانتخابات تعتبر ولو بشكل مشوه مقياسا هاما لمزاج الجماهير. خلال الانتخابات الأولى في ظل محمد السادس كانت الجماهير ضحية أوهام ديمقراطية. ونسبة المشاركة آنذاك شاهد على ذلك. أما الآن فإن نسبة المشاركة هي الأدنى في تاريخ المغرب. وقد كان هذا الاتجاه بدأ يظهر منذ انتخابات 2002. الأرقام الرسمية تقول إن نسبة المشاركة في انتخابات شتنبر 2007، بلغت 37%. والرقم الأقرب إلى الحقيقة هو 20%. كما أنه من الهام أيضا الانتباه إلى عدد الأصوات الملغاة والتي تجاوزت حاجز المليون. يشكل هذا الرقم عددا من الأصوات أكثر مما حققه حزبا الاستقلال والعدالة والتنمية مجتمعان!!! والأصوات الملغاة في المدن الكبرى مثل الدارالبيضاء وطنجة، أكثر، حيث نسبة العزوف عن التصويت بلغت أرقاما قياسية. أكبر حزبين الآن في المغرب هما "العزوف" و"الأصوات الملغاة". إن هذه النتائج لا تعكس ضعف الوعي السياسي لدى الجماهير أو اللامبالاة كما تدعي المنظمات الغير الحكومية، وقادة اليسار والنقابات. بل على العكس من ذلك تبين هذه النتائج استعادة للوعي من جانب الجماهير، وتحديا رائعا في وجه النظام: "لقد تخلصنا من أوهامنا حول هذه المسرحية الديمقراطية وحول إصلاحات محمد السادس". هذه هي الرسالة الحقيقية التي وجهتها الجماهير يوم 7 شتنبر. وقبل هذا كانت الجماهير قد قررت أن تصوت بالخروج إلى الشوارع في المظاهرات العديدة التي نظمت في مختلف أرجاء البلد منذ بداية السنة. إن الذي يفوز بالانتخابات هو ذلك الذي لا يشارك فيها أبدا: إنه الملك الذي هو أيضا وقبل كل شيء أكبر رأسمالي وأكبر ملاك عقاري في البلد والذي يحتكر مفاتيح السلطة الحقيقية بين يديه.

الصحراء الغربية

يخوض الشعب الصحراوي نضاله المرير من أجل فرض حقه في تقرير مصيره، في ظل أشد شروط القمع والتعتيم الإعلامي وبمباركة من القوى الإمبريالية جميعها. الصحراء الغربية تعيش دائما في ظل احتلال عسكري دائم يسحق تحت أقدامه كل أشكال التعبير وتضرب جميع الحقوق. وثرواتها تنهب من طرف الطبقة السائدة المغربية والأوليغارشية الرأسمالية الصحراوية، بينما الجماهير الفقيرة تعاني الجوع والفقر والبطالة. كما أن عشرات المناضلين السياسيين الصحراويين يقبعون وراء قضبان النظام الدكتاتوري القائم بالمغرب.

إلا أن النضالات البطولية للجماهير الصحراوية مكنت من تحويل رمال الصحراء إلى نيران تحت أقدام قوات الاحتلال، كما أن نضالات المعتقلين السياسيين الصحراويين داخل السجون (إضرابات عن الطعام، عصيانات، شعارات سياسية داخل قاعات المحاكمة، الخ) تعطي الدليل تلو الدليل على أن إرادة الشعب الصحراوي ومناضلاته ومناضليه لا يكسرها قمع الطغاة.

لكن كل هذه النضالات ستبقى مثل جدول رقراق من المياه الطاهرة تضيع هباء في رمال الصحراء المتحركة وتحت شمسها الحارقة، ما لم تتوفر لها القيادة الثورية الماركسية ويقدم لها البرنامج الاشتراكي الأممي، الذي يخرجها من قوقعة المنظور القومجي الضيق، ويخلصها من أوهام الرهان على القوى الإمبريالية ومؤسساتها (الإمبريالية الأمريكية، الإمبريالية الأوروبية، الأمم المتحدة، الخ) والقوى الإقليمية والقارية (الجزائر، الاتحاد الإفريقي، الخ).

الوثيقة السياسية

ليس "الحل" الوهمي الذي تطبل له آلة الدعاية الملكية بالمغرب، المبني على ما يسمى بالحل الذاتي الموسع، سوى وصفة لوضع الشعب الصحراوي تحت سيطرة الدكتاتورية بتعاون مع نخبة من الوصوليين والخونة الصحراويين، مثلما كان الحال في العديد من مناطق العالم التي تمكنت الطبقة السائدة فيها من دمج نخبة من الشعب المضطهد في عملية اقتسام الكعكة.

كما أن مشروع قيادة البوليزاريو قد وصل إلى الباب المغلق وليس في مقدورها، بمنظورها المبني على البحث عن حل في ظل الرأسمالية، أن تقدم أي شيء للشعب الصحراوي. وها هي مكوناتها قد بدأت تتفكك شيئا فشيئا، والفساد صار مستشريا بين صفوفها إلى حد بعيد، ولسان حال هؤلاء السادة يقول: "بما أنه ليس هناك في الأفق أي حل للشعب كله، فلا بأس أن نبحث عن حل لنا وحدنا!"، ولنا في قيادة منظمة التحرير الفلسطينية المثال الواضح على ذلك. وضمن هذا المنظور لا تشكل نضالات الجماهير الصحراوية وتضحياتها سوى ورقة ضغط رخيصة في أيدي هؤلاء للضغط من أجل الحصوص على امتيازات أكبر.

هذا هو الوضع القائم اليوم، وليس هناك من حل إلا ضمن برنامج اشتراكي ثوري. ونعتقد أن الفراغ الذي يعيشه الشعب الصحراوي الآن على مستوى شرعية القيادة قد يدفع ببعض الشباب الصحراوي إلى اليأس والأعمال المتهورة العقيمة، التي لن تؤدي إلا إلى المزيد من اليأس. الشيء الذي يعطي الملحاحية لذلك البرنامج وللقيادة الثورية.

إننا في رابطة العمل الشيوعي نناضل من أجل حق الشعب الصحراوي في تقرير مصيره بما في ذلك حقه في الانفصال، وندد بجميع أشكال القمع والمؤامرات والحملات الشوفينية التي تنظمها البرجوازية المغربية ودولتها ضده، كما نطالب برفع حالة الطوارئ عن الصحراء الغربية وإجـــلاء قوات الاحتلال عنها وإطلاق سراح جميع المعتقلين الصحراويين بدون أي قيد أو شرط.

وفي نفس الوقت ندعو المناضلين الثوريين الصحراويين إلى تبني برنامج الثورة الاشتراكية من أجل إقامة فدرالية اشتراكية لمنطقة المغرب الكبير، بتعاون مع الطبقة العاملة في المغرب والجزائر وموريطانيا وتونس وليبيا، تكون جزءا من فدرالية اشتراكية للشرق الأوسط وشمال إفريقيا.

ليس هناك من حل في ظل الرأسمالية، الرأسمالية هي الرعب والبطالة والفقر والاستغلال بدون نهاية، والقوى الإمبريالية ومؤسساتها الدولية هي سبب المشاكل التي تعيشها الشعوب. ينبغي أن نبقي هذا دائما في الحسبان، وألا ننساه أبدا أو نتغافل عنه بأي مبرر، مهما حاول بعض الأصدقاء المزيفين وهؤلاء الذين وضعوا أنفسهم على رأس الحركة خداعنا بحجة التكتيك والفهلوة، الخ.

'الاستقلال' في ظل الرأسمالية وتشكيل دولة رأسمالية بمباركة الإمبريالية والقوى الإقليمية لن يؤدي سوى إلى خلق دويلة فاقدة لمقومات البقاء وتابعة بالمطلق لتلك القوى، ستحقق في ظلها الأوليغارشية الصحروية وشرذمة من الوصوليين منافع مقابل لعب دور العميل، على حساب الشعب الصحراوي وثرواته وكدحه، ولن يقدم أي حل للمشاكل الملحة التي يعانيها الشعب الصحراوي، مثلما هو الاندماج، تحت أي شكل من أشكال الحكم الذاتي، في ظل الدكتاتورية، ولا أي حل آخر في ظل الرأسمالية.

ليس للشعب الصحراوي من حل لتحقيق التحرر والديمقراطية والعيش الكريم سوى الاشتراكية! ولا له من حليف حقيقي سوى الطبقة العاملة المغاربية والأممية، وباقي الفقراء، وكل من سواهم أعداء ألداء!

وعليه نعيد التأكيد على الموقف الواضح الذي سطرناه في إعلان المبادئ الخاص بنا حيث نقول: "إن الماركسيين بالمغرب يرفضون، بشكل قاطع، سياسات الاضطهاد والحرب ضد الشعب الصحراوي ويناضلون من أجل حقه في تقرير المصير . إننا نعتبر أن مهمتنا هي النضال ضد الاضطهاد القومي الذي يتعرض له الشعب الصحراوي والمناورات التي تقوم بها البرجوازية المغربية ودولتها بهدف بث سموم الشوفينية القومية والعنصرية بين صفوف الجماهير المغربية. إلا أننا نعتبر أن المخرج الوحيد للشعب الصحراوي يتمثل في التحالف مع الطبقة العاملة المغربية في نضال مشترك من أجل الاشتراكية وبناء فدرالية اشتراكية في المنطقة. جميع المحاولات المبنية على الاعتماد على تحالفات مع القوى الإمبريالية أو المؤسسات الدولية من قبيل الأمم المتحدة أو الاتحاد الأوروبي لن تؤدي سوى إلى خيانات جديدة وهزائم سيتكبدها الشعب الصحراوي .إن الحليف الأفضل والوحيد والحقيقي ضد الاضطهاد القومي الذي يعانيه الشعب الصحراوي هو الطبقة العاملة والفلاحين المغاربة ."

وعلى المطالب الانتقالية التي سطرناها في برنامجنا الانتقالي، حيث أكدنا على أنا نناضل، وندعو الطبقة العاملة المغربية والجماهير الصحراوية إلى النضال من أجل:

- **"الوقف الفوري لنهب ثروات الشعب الصحراوي.**
- **إطلاق سراح المعتقلين السياسيين الصحراويين والكشف عن مصير المفقودين والمختطفين.**
- **معاقبة جميع المسؤولين عن جرائم الحرب ضد الشعب الصحراوي.**
- **حق الشعب الصحراوي في تقرير المصير بما فيه الحق في الانفصال.**
- **من أجل فدرالية اشتراكية للمنطقة المغاربية توفر أوسع الحق في تقرير المصير لجميع الشعوب التي تشكلها."**

رابطة العمل الشيوعي في الجامعة الصيفية للتيار الماركسي الأممي

نظم التيار الماركسي الأممي جامعة صيفية عالمية بمدينة برشلونة باسبانيا من 29 يوليوز إلى 04 غشت 2009، حضرها أزيد من 400 رفيق من مختلف بلدان العالم بما فيها المغرب، حيث حضر ممثل رابطة العمل الشيوعي مختلف النقاشات التي دارت في أروقة الجامعة.

تضمن جدول أعمال الجامعة نقاشات حول المنظورات العالمية والصين، إضافة إلى فتح أوراش لنقاش الوضعية السياسية والاقتصادية ومهام مناضلي التيار الماركسي الأممي في بعض الدول.

خلال الجلسة الافتتاحية تم الإعلان عن قرار الأمانة العامة واللجنة التنفيذية للتيار الماركسي الأممي بالمصادقة على طلب الانضمام المقدم من طرف الفرعين المغربي والبوليفي

وقد أطر ممثل رابطة العمل الشيوعي ورشة حول المغرب بمشاركة مع رفيق مغربي عضو في الفرع الفرنسي للتيار الماركسي الأممي، بحيث تناول في عرضه لمحات من التاريخ الحديث للمغرب والوثائق التي خرج بها المؤتمر الأول لرابطة العمل الشيوعي المنشورة في هذا العدد.

الوثيقة الاقتصادية

الاقتصاد المغربي والركود

بالرغم من التصريحات المتفائلة والمطمئنة التي تلقي بها الحكومة المغربية، فإن الاقتصاد المغربي ليس بمنأى عن التأثيرات السلبية للركود العالمي. إن ضعف القطاع المالي المغربي قد أنقذه إلى حد بعيد من ارتدادات صدمة شتنبر وأكتوبر. لكن هذا لم يمنع بورصة الدارالبيضاء من التراجع بـ 5% خلال أيام الطوفان العالمي هذه. إن الطبيعة المتخلفة للرأسمالية بالمغرب لن تنقذها من الركود. إذ ليس هناك اليوم أي بلد في العالم بإمكانه الفرار من تأثيراتها. فجميع البلدان مندمجة في السوق العالمية للرأسمالية. وحتى إفريقيا، القارة الأقل تطورا في العالم، تضررت بقوة بسبب صدمة الأزمة. ففي مناجم كاتانغا بالكونغو، على سبيل المثال، تم فقدان ما بين 300 ألف و350 ألف منصب شغل. وليست أزمة النظام المالي العالمي سوى الوجه المالي لأزمة كبيرة لفائض الإنتاج، أي الأزمة الكلاسيكية للرأسمالية.

في بداية هذه السنة حاول وزير الاقتصاد المغربي، نزار بركة، أن يظهر بمظهر المطمئن أمام حشد من رؤساء الشركات خلال قمة دايفوس. لقد أكد على القدرة الكبيرة على المقاومة التي يمتلكها الاقتصاد المغربي، وهذا بفضل حكمة الحكومة. قال: إن المشاريع الكبرى والإصلاحات الاقتصادية مكنت المغرب من التكيف بشكل أفضل من البلدان الأخرى مع الصعوبات الاقتصادية. وفي غمرة حماسه أعلن الوزير معدل نمو للناتج الخام لسنة 2009، بـ 5،8% (6,5% سنة 2008). وقد أشار أيضا إلى 'النجاحات' التي تحققت في النضال ضد البطالة التي انخفضت إلى 9,5% خلال السنة الماضية وتقليص معدل الفقر من 14,2% سنة 2004 إلى 9% سنة 2007. لكن الرأسماليين ليسو سذجا، خاصة عندما يتعلق الأمر باستثمار أموالهم. خفض البنك العالمي توقعاته للنمو، خلال دجنبر 2008، بالنسبة للمغرب إلى 4%، ليس أكثر. ومنذ ذلك الحين عرفت الوضعية العالمية تدهورا كبيرا. لكن هذه الأرقام لم يتم مراجعتها بعد. لكن سرعان ما سيتم ذلك. وحتى إذا تمكن الاقتصاد المغربي من تحقيق رقم 4% الذي من غير المحتمل تحقيقه، فإنه لن يكون كافيا من أجل منع حدوث اضطرابات كبيرة اجتماعية وسياسية. في بداية السنة الماضية دق البنك العالمي ناقوس الخطر في تقرير خاص. فقد توقع خبراء البنك العالمي مخاطر "انفجار اجتماعي". "فبدون تسريع وتيرة النمو، لن يكون من الممكن تراجع معدل الفقر، وسوف تتفاقم التوترات الاجتماعية والسياسية " هذه هي الحصيلة بدون مجاملات التي يضعها منظرو البرجوازية العالمية. وبمجرد نشر تقرير البنك العالمي، جاء تقرير جديد لتحطيم معنويات البرجوازية والنظام المغربيين. إنه تقرير الصحيفة الشهيرة ***'The Economist'*** الذي جاء لتكسير التفاؤل الظاهري.

هذه هي الخلاصة التي خرج بها Ichrak Moubsit في صحيفة ***Le Soir Echos*:** "لا يتوقع مركز الدراسات والنشر للاقتصاديين البريطانيين «The Economist intelligence Unit» (EIU) إلا نموا يعادل 2،3% بالنسبة للمغرب سنة 2009. وهو التوقع المرتبط بالمنظورات الاقتصادية "الكئيبة" للبلد، بالنظر إلى الظرفية السيئة التي تعرفها الأسواق الرئيسية المستقبلة للصادرات. وإذا ما أنهى المغرب سنة 2008 بفائض في الميزانية، فإن المحللين يتوقعون عودة العجز بين سنتي 2009 و2010."

التقرير الذي تم نشره هذا الشهر يتوقع حدوث انتعاش سنة 2010، مع تسارع للنمو بنسبة 3,3% بفضل انتعاش الطلب العالمي. تحليل هؤلاء الاقتصاديين لحالة البلد لا ينتهي هنا. حيث يرسم هؤلاء صورة أكثر سوداوية عن الوضع الاقتصادي في المغرب. إجمالا سوف يشهد البلد هذه السنة اضطرابات اجتماعية بسبب "التفاوتات الاقتصادية". الفقر والبطالة والتضخم هي العوامل التي سوف تفاقم غضب الجماهير. التقرير الأخير لـ (EIU) يرجع ما أسماه الخطر الاجتماعي إلى ما أسماه "الضيق الاقتصادي". يشير التقرير إلى أن استهلاك الأسر سيتراجع بفعل البطالة، التي سوف تتصاعد، والمساعدات العمومية لن تساعد في أي شيء بسبب "محدودية الموارد والبرقراطية والفساد التي تنخر بنية النظام العمومي". كل هذه المعطيات المتشائمة مرتبطة بتحليل أكثر عمومية لاقتصاديات قوى دولية غارقة في الأزمة العالمية".

"قام تقرير EIU، برسم تصنيف لدرجة المخاطر عبر العالم. ويقصد المحللون بالمخاطر ضعف الاستقرار الاجتماعي والسياسي بسبب تدهور الأوضاع الاقتصادية. ويعتمدون في رسم هذا المبيان على ثلاثة معطيات: نسبة ارتفاع المداخيل، المداخيل حسب السكان، ومعدل البطالة. ويحتل المغرب المرتبة 98 من بين 164 بلدا. البلد الأكثر تهديدا هو زيمبابوي والأقل هو النرويج. وهكذا فإن المغرب مصنف باعتباره بلدا أكثر تعرضا للمخاطر من تونس ومصر والأردن، لكنه أقل من سوريا والسعودية والجزائر وبلغاريا والمكسيك. هذا يعني أن وضع المغرب تدهور حيث ارتفع رقم المخاطر من 4,5 نقاط، سنة 2007 إلى 5,6 نقاط، سنة 2008. إن المغرب موجود في هذا الترتيب بسبب العوامل الكامنة، وليس بسبب الوضع الاقتصادي الحقيقي. والخلاصة التي يخرجون بها هي أن وضع المغرب الآن لا زال محتملا، لكن يجب توقع الأسوء خلال السنوات المقبلة."

يتم انتقال الركود العالمي إلى المغرب بطرق عدة: الصناعات التصديرية، والسياحة، وعائدات ملايين المهاجرين. القطاعات التي تعتمد أكثر على التصدير بدأت تتعثر: النسيج، صناعة الملابس والأجزاء الكهربائية عرفت انخفاضا في صادراتها بمعدل 7,1% و17% و23% على التوالي، خلال الثلث الأخير من سنة 2008. كل صناعة النسيج عرفت انهيارا بنسبة 6% في مبيعاتها خلال دجنبر، وفقدت هكذا 1,2 مليار درهم.

مجلة ***Jeune Afrique*** رسمت الصورة التالية:

"أول ضحايا هذه الأزمة: المصدرون إلى السوق البريطانية بدءوا يدقون ناقوس الخطر. يتمركز هؤلاء في منطقة الرباط سلا، وقد فقدوا 28% من رقم معاملاتهم خلال سنة واحدة. ويشرح طارق أغيزول، مالك مقاولة AGZ ونائب رئيس Amith في المنطقة: 'بالإضافة إلى انخفاض الطلب في المملكة المتحدة، نحن نعاني من انخفاض سعر الجنيه الإسترليني، الذي انهارت قيمته بـ 25% منذ شهر شتنبر'، والنتيجة؟ 'بالنسبة إلى مقاولات الرباط وسلا يترجم هذا بخسارة رقم معاملات يساوي 150 مليون درهم.' هذا دون حساب عواقب ذلك على مناصب الشغل: حيث أغلقت العديد من الشركات أبوابها، وفقد أكثر من 2000 عامل مناصبهم. لقد حان الوقت لوقف النزيف، لأن ما نعيشه اليوم،

يمكن لكل القطاع أن يعيشه خلال الأشهر المقبلة."

ويعلن المقال أيضا الهجمات التي تتحضر ضد العمال في أعقاب الأزمة.

"من الهام أن تقوم الدولة بإلغاء سقف الساعات الإضافية، يضيف محمد تامر. إنها اليوم محددة في 100 ساعة سنويا لكل عامل. من المستحيل، في ظل هذه الأوضاع، تعديل أوقات العمل من أجل المساعدة في مواجهة المراحل الصعبة وتراجع النشاط التي ننتظرها." تظهر دراسة قام بها المتخصصون في تحليل تكلفة الساعات ووقت العمل في النسيج، Werner International، ضعف المملكة أمام جيرانها، بمعدل 1960 ساعة عمل في السنة، مقابل 2200 في تونس، ومصر أو تركيا أيضا. دون أن ننسى تكلفة الساعة المرتفعة إلى حد بعيد"

تجهيزات صناعة السيارات شهدت مبيعاتها تتناقص بالثلث خلال نفس الشهر! لكن الحكومة المغربية تواصل الادعاء بأن كل شيء يسير على ما يرام. كانت الصناعات التصديرية عاملا محددا في تسريع النمو خلال السنوات الأخيرة. 70% من الصادرات المغربية موجهة إلى الاتحاد الأوروبي الذي يعيش الآن ركودا كبيرا. وتخلي شركة نيسان عن إقامة مصنع لها في طنجة هو تحذير آخر. وبالرغم من أن العائدات المتأتية من التصدير هي أقل أهمية في المغرب منها في تونس أو في الجزائر (44.7% من الناتج الخام في الجزائر، و42,7% في تونس و 19,5% في المغرب) فإن هذه القطاعات هي الأكثر تشغيلا لليد العاملة، وهي الآن مع الأسف صارت الأكثر تسببا في البطالة. إن مستقبل المغرب في ظل الرأسمالية هو، إلى حد بعيد، لعب دور شركات عاملة من الباطن (sous-traitant) للصناعة الأوروبية. هذا يعني أنه لكي يكون تنافسيا فيجب فرض أجور منخفضة أو جد منخفضة وضرب جميع الحقوق الاجتماعية. يشبه هذا تلك المصانع الموجودة على طول الحدود الأمريكية المكسيكية *maquilladores* .

وهناك الكثير من أوجه التشابه الأخرى التي يمكن إيجادها بين المغرب والمكسيك. فنفس ما تمثله الولايات المتحدة الأمريكية للمكسيك، يمثله الاتحاد الأوروبي للمغرب.

ملايين المهاجرين أغلبهم في بلدان الاتحاد الأوروبي، هم الضحايا الأوائل للأزمة. يشتغلون أساسا في القطاعات الأكثر تعرضا للركود، قطاع البناء وصناعة السيارات، وبالتالي فإنهم الأولون الذين سيفقدون مناصبهم. في إسبانيا، على سبيل المثال، وصل معدل البطالة إلى أكثر من 21% بين المغاربة، مقابل معدل بطالة يساوي 14% بين الإسبانيين. وبينما حاولوا الفرار من الفقر القاسي في بلدهم، هاهم قد وجدوا أنفسهم في وضع جد سيء ويجب عليهم أن يشدوا حزامهم بقوة. سوف ينعكس هذا الوضع بحدة على تحويلات الأموال إلى المغرب، حيث تعتمد العديد من الأسر عليها. إن الانخفاض الحاد في تحويلات العمال المهاجرين إلى بلدانهم الأصلية هي ظاهرة عالمية.

يبين الجدول أدناه (نسبة تحويلات العمال المهاجرين إلى الناتج الوطني الخام، سنة 2007، حسب البنك العالمي) الأهمية التي تكتسيها هذه التحويلات بالنسبة إلى الاقتصاد. لقد تصاعدت تلك التحويلات بقوة بين سنوات 2000 و2007. وقد عرفت ارتفاعا من 2,2 مليار دولار سنة 2000 إلى 6,7 مليار دولار سنة 2007. مما يشكل 27% من ودائع بنك المغرب. أي ضعف الاستثمارات المباشرة الخارجية. ويستفيد حوالي مليون مغربي، في المغرب، مباشرة من هذه التحويلات. وليس هناك لحد الآن أي رقم عن حدة التقلص الذي عرفته التحويلات.

السياحة، التي تعتبر القطاع الجديد للنمو، عرفت تراجعا يقدر بـ 2,3% خلال الإحدى عشرة شهرا الأولى من سنة 2008. بقياس معدل الملئ. كما أن الاستثمارات جفت هي أيضا.
كان من المتوقع سنة 2008 أن تقوم بلدان الخليج باستثمار 1.7 مليار في قطاع البناء. لكن الاستثمارات القادمة من الخليج مهددة بالتراجع هي أيضا مع انهيار أسعار البترول.

نسبة تحويلات العمال المهاجرين إلى الناتج الوطني الخام

الدولة	النسبة
الاردن	%22,7
المغرب	%9
نيجيريا	%6,7
مصر	%6
تونس	%5
الجزائر	%2,2
اسرائيل	%0,6
ايران	%0,5
جنوب إفريقيا	%0,3

وسوف تعود نقطة ضعف أخرى تميز الاقتصاد المغربي إلى السطح مع هذا الركود. بالرغم من التساقطات المطرية التي تحققت سنة 2006، فإن معدل النمو لم يتجاوز أبدا 3% خلال عشرة سنوات. غالبا ما تستعمل الأمطار الشحيحة والمراحل الطويلة من الجفاف، من أجل تبرير النمو البطيء. لكن هناك شيء آخر أكثر أهمية موجود في الفلاحة يفسر الوضع.

"إن العلاقة السببية بين الركود والإنتاج الزراعي والظروف المناخية الغير ملائمة جد مبالغ فيها" كما كتب عبد القادر برادة في تقديمه لكتاب:

Essai sur le déploiement du capital privé dans le secteur industriel au Maroc des origines à nos jours.

ويضيف أن "النتائج الهزيلة للزراعة وتأثيرات ذلك على القطاع الصناعي، تفسر أساسا بأسباب ذات طبيعة بنيوية في الجوهر."

ويشرح قائلا: "إن التوزيع الغير متساوي للأرض ومياه السقي، التذرير الشديد للملكيات، والأنظمة المعقدة للملكية وإيجار الأرض الخ. تمنع الأغلبية من الفلاحين من تثمير وسائل الإنتاج بطريقة صحيحة. يكفي أن نشير أن حوالي ربع الأسر الفلاحية لا تمتلك أرضا، وحوالي 57% من الفلاحين لا يزرعون سوى قطع لا تتجاوز 5 هكتار، كل واحدة منها مقسمة إلى عدة ملكيات، وتشكل في المجموع 25% من المساحة الصالحة للزراعة. وأخيرا لا يشكل المستغلون المالكون لقطع أرضية تتجاوز 50 هكتار سوى 0,6%، لكنهم يحتكرون 13,1% من المساحة الصالحة للزراعة."

هذه واحدة من المهمات العالقة للثورة البرجوازية، أي غياب إصلاح زراعي جذري، الذي هو أساس ضعف القطاع الزراعي في البلد. فمن جهة هناك الملكيات الكبرى للأرض ومن جهة أخرى هناك التشتت الكبير للأراضي وعدد كبير من الفلاحين بدون أرض. وتقوي الهيمنة الإمبريالية والاتفاقات الأخيرة بخصوص التبادل الحر أكثر فأكثر هذه الصعوبة التي تعاني منها الزراعة. إن البرجوازية المغربية ودولتها عاجزتان كليا عن القيام بهذا الإصلاح. إن الملك، الذي هو العمود الفقري للدولة وأكبر برجوازي، هو أيضا أحد أكبر ملاكي الأراضي في المغرب إن لم يكن الأكبر على الإطلاق.

دفاعا عن ثورة أكتوبر

ط. رعشوي

لقد قررنا، نحن مناضلو رابطة العمل الشيوعي، إصدار العدد الأول من جريدتنا الشيوعي، في شهر أكتوبر، لأننا نعتقد أنه ليست هناك من مناسبة لنزف هذا المولود الجديد إلى الطبقة العاملة والشباب الثوري وعموم المناضلين النقابيين والساريين، أفضل من هذا الشهر الذي شهد قبل 92 عاما، وبالضبط يوم 25 أكتوبر 1917، أول ثورة اشتراكية في التاريخ، عندما نهضت الطبقة العاملة الروسية، في طليعة باقي الفئات الكادحة، وبقيادة الحزب الشيوعي، وأسقطت نظام القهر والاستغلال، وأخذت مصيرها بيدها.

لم يأت اختيار هذا التاريخ صدفة، بل أردنا من خلاله التعبير عن انتمائنا إلى نفس الإرث والتقاليد والمبادئ التي دافع عنها ثوريو أكتوبر، بقيادة لينين وتروتسكي، وعن أن الهدف الذي وضعناه على كاهلنا هو المساهمة في المراكمة النظرية والسياسية والعملية لإنجاز أكتوبر مغربي، أي ثورة اشتراكية في المغرب، تكون جزءا من الثورة الاشتراكية العالمية.

منذ اللحظات الأولى لاندلاع هذه الثورة، وبداية وصول أخبارها إلى عمال العالم وشعوبه المضطهدة، خلقت موجة من التعاطف العميق والحماس العظيم، وأحيت الأمل في نفوس المقهورين في إمكانية بناء عالم خال من الاستغلال والجوع والفقر والاضطهاد، وقد أدت في نفس الآن إلى خلق موجة من الحقد الجارف والعداء ضدها من جانب القوى الرجعية، الطبقات السائدة في العالم وكلابها.

لكن مع سقوط الاتحاد السوفييتي تصاعدت حدة الدعاية البرجوازية ضد الاشتراكية وضد ثورة أكتوبر تحديدا، انخرط فيها هذه المرة جيش من الإصلاحيين و"الشيوعيين" السابقين/ الستالينيين، الذين سارعوا إلى تقديم كل البراهين الممكنة على ولائهم للرأسمالية وبراءتهم من كل ما يمت إلى ثورة أكتوبر بصلة.

وقد ارتكزت هذه الحملة على إقناع العمال والشباب على أن الثورة شيء مضر بالصحة، وأن الاشتراكية مجرد وهم، وأن الرأسمالية هي أفضل العوالم الممكنة.

نقول في هذا السياق: إن دفاعنا عن ثورة أكتوبر ليس نابعا من مجرد ترف فكري، وانتصار مجرد لمشروع مجرد، بل هو نابع من انتماء واع إلى قضية التغيير الاشتراكي الثوري ووعي عميق براهنية القضايا التي طرحتها والدروس التي قدمتها (ضرورة القيادة الثورية، تحطيم الدولة البرجوازية واستبدالها بنظام الديمقراطية العمالية، مصادرة أملاك الطبقة السائدة ووضعها تحت الرقابة العمالية، حق الشعوب في تقرير مصيرها، الخ) في وقتنا الحالي.

منجزات ثورة أكتوبر

بالرغم من جميع المشاكل العويصة التي واجهتها الطبقة العاملة الروسية عندما استولت على السلطة، حيث توجب عليها أن تبدأ البناء انطلاقا من الصفر تقريبا، إذ أن روسيا القيصرية كانت بلدا جد متخلف، أكثر تخلفا مما هو عليه الحال في المغرب اليوم، وكانت الحرب العالمية، ثم الحرب الأهلية والتخريب والحصار الخانق قد دمرت كل ذلك النزر القليل من مكاسب الحضارة والبنية التحتية، الهزيلة أصلا، التي كانت موجودة في بعض أجزاء روسيا...

لكن بالرغم من كل هذا فإن الاقتصاد المؤمم والمخطّط تمكن من إعطاء الدليل على تفوقه الكبير على نظام السوق الرأسمالي، ووضح أنه يمكن تسيير المجتمع بدون رأسماليين، حيث تمكنت روسيا، في زمن قياسي، من تحقيق إنجازات غير مسبوقة في التاريخ. فمن بلد غارق في التخلف وتسوده الإقطاعية وكل شعبه تقريبا من الأميين، تحولت روسيا، بعد الثورة وبفضلها إلى بلد ذي اقتصاد جد حديث ويمتلك ربع علماء العالم، وقطاع تعليمي وصحي يضاهيان نظيريهما في البلدان الرأسمالية المتقدمة، بل ويتجاوزاهما في العديد من المجالات.

وقد كان الاتحاد السوفييتي، إضافة إلى ذلك، أول بلد أطلق قمرا اصطناعيا وأول من أرسل إنسانا إلى الفضاء. والباهر أيضا هو أن الاتحاد السوفييتي تمكن خلال خمسين سنة من أن يضاعف ناتجه الخام بتسعة مرات. كل هذا تحقق بالرغـــــم من التبذير الرهيب وسوء التسيير الذي تسببت فيهما البيروقراطية الستالينية الفاسدة.

ولعل أبرز مثال عن مدى فعالية الاقتصاد المخطط (ولو بشكل بيروقراطي، فما بالك باقتصاد مخطط في ظل الرقابة العمالية) هو سرعة التعافي من الدمار الذي خلفته الحرب العالمية الثانية، حيث ارتفع الناتج الخام في الاتحاد السوفييتي، ما بين سنة 1945 و1979 بخمسة مرات. وبينما لم يكن الناتج الخام للاتحاد السوفييتي يساوي إلا 33% من نظيره الأمريكي سنة 1960، صار سنة 1979 يساوي 58%[1].

لقد كان الاتحاد السوفييتي يحتل المرتبة الأولى عالميا في عدد كبير من القطاعات الانتاجية الحاسمة كالنفط والصلب وصناعة الجرارات وغيرها. والمعجزة الحقيقية هي أن كل هذه المنجزات تحققت بدون بطالة، حيث أن هذا الوباء المميز لجميع البلدان الرأسمالية بدون استثناء، لم يكن معروفا في الاتحاد السوفييتي، بل لقد كانت البطالة من الناحية القانونية، جريمة! كما أن مرحلة ما بعد الحرب كانت خالية من التضخم، وهي الأشياء التي تعتبر حلما مستحيلا في ظل الرأسمالية.

ولعل السؤال الملح الذي يتبادر إلى أذهان العديد من العمال والمناضلين الشباب هو: إذا كان الاقتصاد المخطط جيدا لهذه الدرجة، فلماذا فشلت في روسيا، ولماذا انهار الاتحاد السوفييتي؟

لينين يكنس العالم من الطفيليات

[1]: يجب أن نضع في الاعتبار هنا أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت تستفيد من نهب أجزاء كبيرة من العالم وكل الأسواق كانت مفتوحة أمامها، بينما لم يكن الحال كذلك أمام الاقتصاد السوفييتي، بل إنه كان القوة العظمى الوحيدة في العالم التي يعاني ميزانها التجاري من العجز مع العديد من البلدان بسبب المساعدات وغيرها.

لماذا انهار الاتحاد السوفييتي

من المسلم به بين الماركسيين أنه من المستحيل بناء الاشتراكية في بلد واحد، حتى وإن كان أكثر بلدان العالم تقدما، فبالأحرى في روسيا القيصرية. وقد كان البلاشفة، بقيادة لينين وتروتسكي، على أتم الوعي بهذه الحقيقة البديهـــــية. إنهم كانوا يرون ثورة أكتوبر حلقة ضمن سلسة الثورات الاشتراكية في العالم، ولم يكونوا يعتقدون أن زمن عزلة سيستمر طويلا.

كان البلاشفة يرون أن بقاء الثورة مستحيل في ظل العزلة، وهو ما جعل لينين وتروتسكي يؤكدان منذ البداية على أنه إذا لم تأتي الثورة الاشتراكية في البلدان الأخرى، بدء من ألمانيا، لتفك الحصار عن الثورة الروسية وتنقذها، فإنه محكوم عليها بالفناء. لم يكن يعني هذا طبعا الانتظار السلبي والاستسلام، بل كان يعني نهج سياسة تزاوج بين النزعة الأممية الثورية النشيطة على الصعيد الخارجي، وبين العمل الدءوب وبذل أكبر التضحيات من أجل البناء و قمع محاولات الطبقات السائدة إعادة النظام القديم...

لقد كانت قناعتهم براهنية الثورة الاشتراكية العالمية مبنية على أساس تحليل نظري علمي دقيق للوضع العالمي التاريخي، وقد تأكد هذا المنظور من خلال الموجة الهائلة من الثورات التي اندلعت في مختلف أنحاء العالم والتي كان من الممكن أن تؤدي إلى وصول الطبقة العاملة إلى السلطة (في ألمانيا على وجه الخصوص) لولا خيانة قيادات الأحزاب الاشتراكية الديمقراطية وتعاونها الذليل مع البرجوازية لإنقاذ النظام الرأسمالي، وضعف القيادات الشيوعية الشابة وقلة تجربتها. والنتيجة كانت هي سقوط الثورة البلشفية في عزلة خانقة طويلة.

وقد أدت هذه العزلة الخارجية إلى خلق جو من الإحباط وسيادة لمزاج محافظ بين الفئات المتخلفة والمنهكة، عززت المشاعر القومية الضيقة.

بالإضافة إلى هذا هناك صعوبة تنظيم الرقابة العمالية على الاقتصاد بسبب التذرر الكبير الذي تعرضت له الطبقة العاملة الروسية بسبب الحرب وخراب البنية التحتية والمجاعة وبسبب الانتشار الرهيب للأمية، الخ، فرض اللجوء إلى شريحة واسعة من الموظفين المتخصصين (بعضهم من بقايا النظام القديم)، والذين طالبـــــوا بالعديد من الامتيازات والأجور العالية مقابل الخدمات التي يقدمونها، هذا إضافة إلى امتصاص جهاز الدولة لعدد كبير من المناضلين الشيوعيين، الذين بدءوا يفقدون إذ ذاك كل علاقة مباشرة مع الجماهير ويغرقون تدريجيا في مهام الروتين اليومي. لقد كان هذا الإجراء في البداية ضروريا، لكن لينين كان ينظر إليه باعتباره إجراء مؤقتا سرعان ما سيتم تداركه والعودة إلى تطبيق مبادئ الديمقراطية العمالية: التناوب على المهام، لكي يصير الجميع بيروقراطيا فلا يبقى هناك أي أحد بيروقراطي، الحق في انتخاب مسئولي الدولة على جميع المستويات وعزلهم في كل حين.

فبدأت تتشكل تدريجيا فئة بيروقراطية داخل الحزب والدولة السوفييتية، سرعان ما بدأت تعي بوحدة مصالحها وبوضعها المتميز عن وضع العمال الذين تحكم باسمهم، فصارت تبحث عن تأبيد هذا الوضع من خلال تدمير أسس الرقابة العمالية والديمقراطية السوفييتية.

كل هذا كان يحصل في ظل تطبيق السياسة الاقتصادية الجديدة التي تضمنت تنازلات كبيرة لصالح صغار المنتجين والفلاحين الأغنياء في البوادي، وهي السياسة التي كانت ضرورية في وقتها ولم تكن لتؤدي إلى أي خطر على الدولة العمالية لو توفرت آلية الرقابة العمالية السليمة، لكنها في الوضع الروسي الملموس آنذاك أدت تدريجيا إلى خلق وتوسيع وتقوية قاعدة القوى المعادية للثورة، من محدثي النعمة واللصوص، الخ.

وقد تضافرت تدريجيا جهود كل هذه القوى من أجل السيطرة على مواقع القرار السياسي والاقتصادي، مما شكل خطرا مميتا على الدولة العمالية المعزولة والمنهكة.

وهو الخطر الذي رأى فيه كل من لينين وتروتسكي أكبر عدو على المشروع الاشتراكي وخصصا للنضال ضده كل جهودهما.

في البداية كانت هذه البيروقراطية مترددة و"خجولة"، لكنها سرعان ما بدأت تصير أكثر فأكثر جرأة ووقاحة، من خلال اقتراح العديد من القرارات التراجعية الخطيرة من قبيل المشروع الذي اقترحه ستالين بالتخلي عن احتكار الدولة للتجارة الخارجية والذي ناضل ضده لينين المريض آنذاك وتروتسكي بشراسة فاضطر الثعلب ستالين إلى التنكر له. وقد ازدادت وتيرة الانحطاط البيروقراطي داخل الحزب والدولة بعد وفاة لينين، وهو ما تصدى تروتسكي والمعارضة اليسارية للنضال ضده بالرغم من القمع الرهيب.

ولم تتمكن البيروقراطية الستالينية من ترسيخ أسس نظامها إلا بعد شنها لحرب أهلية من جانب واحد ضد آلاف المناضلين الشيوعيين والعمال الطليعيين، عمل من خلالها ستالين وأتباعه على تدمير الحزب البلشفي وقتل أغلب قادته القدامى، واستبداله بحزب ميت مليء بالوصوليين والبيروقراطيين.

لقد كتب تروتسكي الكثير من المؤلفات العبقرية التي فسر فيها بوضوح طبيعة هذه البيروقراطية وأساليبها وخطرها على الحزب الشيوعي والدولة السوفييتية وعـلى مكتسبات أكتوبر، ومن بين أهم تلك الكتابات التي نوصي العمال والشباب اليساري بقراءتها هناك كتاب: "الثورة المغدورة"، حيث وضح أنه إذا لم تعمل الطبقة العاملة على إسقاط هذه الفئة البيروقراطية وتعيد الديمقراطية العمالية، فإن البيروقراطي سيتمكن من القضاء على الدولة العمالية وإعادة الرأسمالية إلى روسيا، وهي النبوءة التي تحققت بشكل كامل سنة 1991.

لقد كانت البيروقراطية الستالينية سرطانا ينمو على حساب جسد الدولة العمالية ويتسبب لها في نزيف هائل. من المعلوم أن الاقتصاد الروسي المؤمم والمخطط كان يحقق في البداية معدل نمو يساوي 20% سنويا، خلال المخططات الخماسية الأولى، وبعد سنة 1945 صار يحقق 10%، لكن بعد 1965 تراجعت معدلات النمو بشكل كبير، فما بين 1965 و1970 كان معدل النمو 5,4% ثم تراجع إلى 3,7% ما بين سنوات 1971 و1978.

ما هو السبب وراء هذا؟ لقد سبق لتروتسكي أن قال (في الكتاب المشار إليه أعلاه) إن الاقتصاد المخطط يحتاج الديمقراطية مثلما يحتاج الجسد الأوكسجين. فبدون الرقابة العمالية على الاقتصاد، لا بد أن يسقط الاقتصاد المؤمم والمخطط ضحية للخراب والشلل، خاصة إذا كان اقتصادا معقدا وحديثا.

بالنسبة للاقتصاد البرجوازي تسود الفوضى العارمة، والمحرك الأسمى لكل شيء هو الجري وراء الربح، ويكـــــون

"القرار" في يد العديد من المالكين الخاصين لوسائل الإنتاج وتكون قوانين السوق العمياء هي التي تسير كل شيء وتحكم على كل من لا يستطيع المنافسة بالخراب، لكن في ظل الاقتصاد المؤمم والمخطط يكون القرار السياسي/ الاقتصادي حاسما في تحديد ما يجب إنتاجه وكميته الخ. وهو ما لا يمكن القيام به لصالح المجتمع بفعالية بدون إعطاء الجماهير الحق في التقرير والتسيير والرقابة.

وعندما تمكن ستالين من تحطيم نظام الديمقراطية العمالية الذي ساد في ظل لينين وتروتسكي، صارت البيروقراطية تتحكم في كل شيء، وبين أيديها تمركزت كل مفاتيح الاقتصاد وكل القرارات. في البداية، وعندما كان الاقتصاد السوفييتي ما يزال بسيطا نسبيا كان يستطيع السير بالرغم من الدور الكابح نسبيا الذي كانت تلعبه البيروقراطية، لكن عندما تحول الاقتصاد السوفييتي إلى اقتصاد متقدم ومعقد جدا (كان الاتحاد السوفييتي ينتج مليون بضاعة مختلفة) صارت البيروقراطية كابحا مطلقا ودفعت بكل الاقتصاد إلى الشلل.

ثم إن البيروقراطية باعتبارها فئة محظوظة راكمت الكثير من الامتيازات بالفساد ونهب القطاع العام، وتحول أفرادها إلى أصحاب ملايين لا يميزهم عن البرجوازيين الغربيين سوى حرمانهم من الملكية الخاصة لتلك المنشئات والشركات التي كانوا ينهبونها، فصارت ترى أن مصلحتها الفعلية هي القضاء على الملكية العامة لوسائل الإنتاج والاقتصاد المؤمم وخصخصته والاستيلاء عليه، وهو بالضبط ما كان تروتسكي قد توقع حدوثه منذ زمن بعيد.

ليس سقوط الاتحاد السوفييتي دليلا على إفلاس الاشتراكية، لأن الاشتراكية مطلب لا مندوحة عنه إذا ما أردنا التخلص من ويلات الاستغلال والحروب والفقر، وإنقاذ البشرية من الفناء الذي تهددها به الرأسمالية، وبالتالي فإن فشل التجربة الأولى لن يمنع من ضرورة النهوض مجددا، بعد التعلم من الأخطاء وتصحيحها، ولا هو دليل على خطأ النظرية الماركسية بل دليل على صحتها وحيويتها، فالنظرية الماركسية وحدها هي التي مكنت من توقع سقوط الاتحاد السوفييتي وهي الوحيدة القادرة على تفسير أسباب ذلك وهي الوحيدة القادرة على إعطائنا خطة وإستراتيجية وبرنامجا لأجل القيام بثورة أكتوبر اشتراكية أخرى، في ظل ظروف عالمية ومحلية هي الآن أكثر ملائمة مما كانت عليه إبان بدايات القرن الماضي.

عاشت ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى

عاشت الثورة الاشتراكية العالمية

2009/10/02

الأمانة العامة للتيار الماركسي الأممي تصادق بالإجماع على انضمام رابطة العمل الشيوعي

توصلنا بتاريخ: 08 يوليوز 2009 برسالة من طرف الرفيق آلان وودز، العضو القيادي في الأمانة العامة للتيار الماركسي الاممي، يعلن فيها المصادقة على انضمام رابطة العمل الشيوعي للتيار الماركسي الأممي، وقد تمت المصادقة على هذا القرار من طرف اللجنة التنفيذية للأممية خلال اجتماعها في شهر يوليوز، وهذا ما أعلن عنه آلان وودز في خطابه في الجامعة الصيفية التي نظمها التيار الماركسي الاممي صيف هذه السنة.

الرسالة:

أيها الرفاق الأعزاء،

خلال اجتماع اللجنة التنفيذية الأممية الذي سينعقد أواخر هذا الشهر، سوف تصوت قيادة التيار الماركسي الأممي على مسألة قبول رابطة العمل الشيوعي بالمغرب، فرعا رسميا للأممية في المغرب.

إنني سعيد بإخباركم أن الأمانة العامة للأممية قد درست طلبكم وصوتت بالموافقة عليه بالإجماع. إننا واثقون من أن أعضاء اللجنة التنفيذية سيوافقون بحماس مشابه لحماسنا التحاقكم بالأممية.

لقد تتبعنا طيلة السنوات الأخيرة باهتمام عظيم تطور منظمتكم، وقد أُعْجِبنا كثيرا جدا بالعمل الذي تقومون به. ونشير بالخصوص إلى العمل الذي تقومون به في نشر أفكار الأممية في العالم العربي والذي يكتسي أهمية هائلة جدا بالنسبة إلينا. إننا نهنئكم من أعماق قلوبنا.

إن المغرب بلد جد هام من وجهة نظر الثورة الاشتراكية في شمال إفريقيا والشرق الأوسط. أزمة العالم الرأسمالي تعني أن العديد من الأنظمة العربية الرجعية ستصبح معلقة بخيط رفيع. إن الإسقاط الثوري لأي من هذه الأنظمة يمكنه أن يطلق سلسلة من الانفجارات الثورية التي ستجتاح كل العالم العربي. ومن جد المحتمل أن ينطلق هذا المسلسل الثوري من المغرب.

لقد أظهرت الأحداث الأخيرة التي وقعت في إيران طبيعة الغليان الذي يعتمل تحت السطح. إن الحركة ستعرف فترات مد وجزر، ستعرف الانتصارات والهزائم، لكن في النهاية ستتمكن الجماهير من استخلاص الدروس الضرورية. وبمساعدة التيار الماركسي الثوري الحقيقي، ستتمكن من التعلم بشكل أسرع.

أيها الرفاق، مناضلو رابطة العمل الشيوعي بالمغرب! تقع مسئولية تاريخية عظيمة على كاهلكم. وباعتباركم جزءا من التيار الماركسي الأممي ستتمكنون من إنجاز المهام الصعبة التي ستواجهكم، وستتجاوزون جميع العراقيل، وستشيدون منظمة جدية، سوف تكون قادرة على قيادة الطبقة العاملة نحو النصر.

عاشت رابطة العمل الشيوعي!

عاشت الثورة الاشتراكية في شمال إفريقيا والشرق الأوسط!

عاشت الأممية!

آلان وودز (باسم الأمانة العامة الأممية)

لندن ، 08 يوليوز 2009

جريدة الشيوعي

تصدرها رابطة العمل الشيوعي

الفرع المغربي للتيار الماركسي الأممي

زورو ا مو اقعنا الالكترونية:

HTTP://WWW.MARXY.COM/

HTTP://WWW.MARXIST.COM/